فتنة طائفية أم فتنة انتخابية

obeikan.com

obeikan.com

فتنة طائفية أم فتنة انتخابية

تصاعدت في الآونة الأخيرة مسألة الصدام بين متظاهرين مسلمين أمام كنيسة مارجرجس بالإسكندرية وبين رموز الكنيسة المصرية بسبب تداول شريط مسيحي يرى فيه هؤلاء المعترضون أن به مساساً بالعقائد الدينية الإسلامية وسخرية من الإسلام والمسلمين وامتهاناً لقدسية القرآن الكريم . وقد اندلعت مظاهرات في يوم الجمعة ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ وتجددت تلك المظاهرات يوم الجمعة التالي ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٥، وقد تضمنت تلك المظاهرات عمليات إتلاف لعدد من المنشآت والممتلكات، كما تضمنت صراعاً مع الشرطة المصرية وسقط قتلى وجرحى من المتظاهرين وقوات الشرطة على حد سواء . ويطالب المتظاهرون بمحاكمة المسئولين الذين أنتجوا هذا الشريط ، واعتذار واضح من البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية في مصر ، وقد رفض البابا شنودة هذا الاعتذار حتى الآن ، كما لم تظهر بوادر لمحاكمة المسئولين الكنسيين الذين أنتجوا الشريط ، وقد تضمن الشريط المسرحي مقدمات تقول أنه نال بركة البابا شنودة وأنه تم إنتاجه بتمويل من الكنيسة وقام بأداء المسرحية الكورال المسيحي التابع لكنيسة مارجرجس بالإسكندرية.

وفي الحقيقة فإن المطالبة بمحاكمة هؤلاء المسئولين أصبح مطلباً مصرياً عاماً ، حيث طالب كتاب ورموز سياسية - لا تنتمي للتيار الإسلامي بذلك ، وقال الكاتب الصحفي عادل حمودة رئيس تحرير جريدة الفجر المستقلة وأحد كتاب المقالات في جريدة الأهرام أن اعتذار البابا شنودة لم يعد يكفي ولابد من محاكمة المسئولين عن الجريمة ، وقد وضع ذلك العنوان مانشيتاً على رأس الصفحة الأولى لجريدة الفجر عدد ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٥. ووفقاً لرؤية وكلام عادل حمودة نفسه ، فإن الأقباط أيقظوا

الفتنة وأن الإخوان المسلمين أشعلوها لأسباب انتخابية ، لإحداث نوع من الاستفزاز الديني يعطي المزيد من الأصوات لمرشحي الإخوان خاصة في الإسكندرية والمدن القريبة منها مثل طنطا ودمنهور ، حيث أنه هناك عدد كبير من أهم مرشحي الإخوان في تلك الدوائر . وفي الحقيقة فإن تلك الجزئية في كلام عادل حمودة - غير صحيحة من وجهة نظرنا - لأن تقاليد وسلوك الإخوان لم يكن طائفياً في يوم من الأيام وكذلك فإن جرأتهم لا تصل إلى هذا الحد ولم نعهد منهم مثل تلك الجرأة مثلاً في أي قضية . المهم أن عادل حمودة يرى أيضاً أن الأمن أصاب الأبرياء ، وأن البلطجية استغلوا الفرصة ونهبوا عدداً من المحلات والأماكن في الإسكندرية ويرى عادل حمودة أيضاً " أن تسليم المتهمين صعب لعدم وجود اتفاقية تبادل مجرمين بين مصر ودير وادي النطرون " ـ يلاحظ هنا أن دير وادي النطرون يقع غرب الإسكندرية وهي منطقة واسعة بها كنائس ومزارع وورش تابعة للكنيسة ـ وهي داخل جمهورية مصر العربية طبعاً ولكن عادل حمودة يريد أن يقول أن الكنيسة أصبحت دولة مستقلة داخل الدولة !!..

وفي الحقيقة فإن التفسير الانتخابي للأحداث قال به أيضاً الأستاذ عبد الحليم قنديل رئيس تحرير جريدة العربي الناصرية وهذا الحزب جزء من الجبهة المتحالفة للمعارضة ، ويرى قنديل وآخرون أن المتهم الحقيقي هو النظام المصري وليس الكنيسة ، وأن الحكومة ربما تكون وراء افتعال تلك الأحداث لكي تلهي الناس عن مشاكلها الحقيقية من غلاء وفساد وتهاون وطني . . . الخ ، ومن ثم تحاصر مرشحي الجبهة في الموضوع الطائفي ، والحقيقة أن قنديل أيضاً لم يسقط المسئولين في الاستقطاب الطائفي عن البابا شنودة ولكنه جعل الجزء الأهم في الموضوع هو التفسير الانتخابي ، ولكن المسألة بالطبع لا يمكن فهمها بهذه الطريقة فالحكومة المصرية لا تحتمل أن تفعل بنفسها مثل هذه الأمور ثم إن التراكمات الطائفية والاستفزاز الكنسي للمسلمين كبير جداً ، وسوف يخرج اليوم أو غداً ، بهذه الطريقة أو تلك ، إذاً المسألة تعبر عن واقع حقيقي ، ولنكن صرحاء ونملك من الشجاعة ما يكفي لدفع الجرس في رقبة القط وليس تسكين الجروح غير النظيفة ، فالكنيسة

مارست وتمارس ضغطاً هائلاً على الحكومة ، وتتصرف كمؤسسة سياسية يقودها البابا ، وهذا بالطبع مخالف للدستور المصري وهو أيضاً مخالف لتقاليد الكنيسة المصرية الراسخة والمعروفة في عدم التدخل في الأمور الدنيوية والاقتصار على المهمة الروحية وقد كان ذلك سلوك تقليدي للكنيسة في كل عهودها حتى عهد البابا شنودة الذي حول الكنيسة إلى حزب سياسي ، وهو أمر خطير ، لأن معنى ذلك تقسيم مصر إلى حزب مسيحي يقوده البابا شنودة ورجال الكنيسة يمثل ٦ ٪ من الشعب المصري ، وحزب إسلامي يقوده رئيس الجمهورية يمثل ٩٤٪ من الشعب المصري . وهذا الاستفزاز الكنسي بالطبع يتراكم وقد سجلت محكمة القضاء الإداري في حكمها الصادر برفض طعن البابا شنودة ، أنه يقوم بدور سياسي وله علاقات خارجية غير مقبولة " حكم محكمة القضاء الإداري في الدعوى رقم ٩٣٤ لسنة ٣٦ قضائية المقامة من البابا شنودة ضد رئيس الجمهورية بصفته ورئيس الوزراء بصفته.

ويمكن أن نرصد في هذا الصدد أيضاً أن الكنيسة المصرية نجحت في إلزام أجهزة الدولة بالبحث عن وفاء قسطنطين وآخرين ، وهم مسيحيون قد أعلنوا إسلامهم ومن ثم تسليم هؤلاء للكنيسة ، وكأن الكنيسة أولاً تفاوض الدولة كطرف مستقل ، وهي ثانياً تمارس مهمة محاكم التفتيش وهو أمر رآه المسلمون أمراً خطيراً حيث أنه تسليم مواطن مسلم إلى جهة لإكراههم على الكفر ، والعجيب أن دعاة حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني ، والكثير من القوى السياسية قد سكتت على هذا الإكراه في الدين ، ومخالفة مبدأ حرية العقيدة في حين أنها تقيم الدنيا ولا تقعدها في أمور أقل من ذلك بكثير - مصادرة كتاب مثلاً - وفي الإطار نفسه هدد أكثر من راعي كنيسة وكاهن " راعي كنيسة الكشح نموذجاً - باللجوء إلى الولايات المتحدة ومنظمة بيت الحرية وإبلاغهم ضد مسئولين مصريين في أحداث الكشح ، وهو نوع من الاستقواء بالأجنبي يترك أثره بالطبع على نفسية المسلمين ويحدث نوعاً من الاستفزاز يظل يتراكم حتى ينفجر في النهاية ، ويعتمد هؤلاء على أن الحكومة المصرية ضعيفة أمام الولايات المتحدة لأسباب سياسية واقتصادية ومن ثم يمكن الضغط عليها والحصول منها على مكاسب سياسية وطائفية.

أضف إلى ذلك ممارسات ما يسمى بأقباط المهجر ، وأقل ما يقال فيها أنها مطالب تمثل نوعاً من الخيانة العظمى ، ومع ذلك لم تتبرأ منهم الكنيسة ، ولم تصدر قرارات حرمان بشأنهم ، وهكذا فإن التراكم والاستفزاز موجود ، وبديهي أن المسلمين ليسوا حجارة أو حديداً وكذلك فإن الدولة لن تستطيع أن تظل مهزومة أمام الأقباط دائماً ، وكلها عوامل يمكن أن تكون سبباً موضوعياً للفتنة الطائفية ، والصحيح أن الاعتماد على الأمريكان والاستقواء بهم خطأ استراتيجي تمارسه الكنيسة ،فلن يحمي المسيحيين المصريين إلا علاقتهم الطيبة بالمسلمين ، وتمسكهم بالمبادئ الوطنية وهناك الكثير من عقلاء المسيحيين المصريين يقولون علناً أن البابا شنودة يقود المسيحيين إلى كارثة فأمريكا ليست قدراً دائماً ، وأن المسيحيين والمسلمين يجتمعون على قاعدة الانتماء للعروبة والثقافة الإسلامية التي هي للمسلم ديناً وثقافة وللمسيحي ثقافة وحضارة وهو الأمر الذي عبر عنه الزعيم المسيحي المعروف مكرم عبيد حين قال أنا مسلم وطناً مسيحي ديناً ، وقد عبر عن نفس الأمر السياسي المسيحي المصري " منير فخري عبد النور - عضو مجلس الشعب عن حزب الوفد " حين قال " أنا مسلم بالثقافة واللعب بالطائفية لا يخيل على المصريين " . جريدة الفجر ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ الصفحة ٦ .

ويرى الأستاذ جمال أسعد - وهو مسيحي أرثوذكسي أن البابا شنودة يتصرف بطريقة خاطئة تضر بمصلحة الأقباط ، يقول جمال أسعد في جريدة الفجر عدد ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ تحت عنوان " مسرحية الإسكندرية - ومسئولية البابا والدولة " " أن المسرحية التي عرضت تحت اسم " كنت أعمى والآن أبصر " هي بالفعل تهاجم الإسلام والمسلمين وتندد ببعض سلوكيات رسول الإسلام وتفسر بعض الآيات بطريقة ملتوية ، وهذا لا يمت بصلة للمنهج والفكر المسيحي الحقيقي ، بل هي ممارسات طائفية شاذة ، وأن عرض تلك المسرحية في كنيسة " كنيسة مارجرجس بالإسكندرية تعني أن فكراً جديداً ومتغيراً داخل الكنيسة ، وأن ما يحدث في هذه الكنيسة وجميع كنائس القاهرة والإسكندرية هي مسئولية مباشرة للبابا شنودة شخصياً باعتباره أنه أسقف القاهرة والإسكندرية وهو مسئول عما يحدث فيها

بشكل مباشر ، وأن الأسباب المباشرة تغير سلوك الكنيسة هو إعلان بوش أنه سيشعل حرباً صليبية ، وبعد التدخل الأمريكي المباشر من خلال الحملات التفتيشية على مصر من خلال التقارير الأمريكية التي ترصد ممارسات ضد الأقباط - مزعومة - من خلال تقارير يرسلها بعض المسيحيين المصريين إلى ما يسمى "بيت الحرية الأمريكي" ويلمح جمال أسعد إلى أن زيادة الاستفزاز الكنسي ربما يتواكب مع مؤتمر الأقباط الذي سينعقد في الكونجرس الأمريكي في شهر ديسمبر ٢٠٠٥.

ويخلص جمال أسعد إلى أن هناك شعور بالاستقواء لدى الأقباط لأن البابا دخل في عدة مواجهات مع الدولة وكسب منها نقاطاً مهمة كان قمتها إجبار الدولة على تسليم وفاء قسطنطين ، ولكن هذا الاستقواء كما يقول جمال أسعد هو استقواء كاذب ، وهو خطر على المسيحيين وعلى المسلمين وعلى مصر كلها .